التطبير

في الزمن الراهن

للعلامة

المنار

www.alfeker.net

بسم الله الرحمن الرحيم

.. عن معاوية بن وهب قال: دخلت على أبي عبد الله الصادق عليه السلام وهو في مصلاه فجلست حتى قضى صلاته فسمعته وهو يناجي ربه فيقول: يا من خصنا بالكرامة ووعدنا الشفاعة وحملنا الرسالة وجعلنا ورثة الأنبياء وختم بنا الأمم السالفة وخصنا بالوصية وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي وجعل أفئدة من الناس تهوى إلينا ، اغفر لي ولإخواني وزوار قبر أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبة في برنا ورجاء لما عندك في صلتنا وسرورا أدخلوه على نبيك محمد صلى الله عليه وآله وإجابة منهم لأمرنا وغيظا أدخلوه على عدونا ، أرادوا بذلك رضوانك فكافهم عنا بالرضوان وأكلأهم بالليل والنهار، واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف واصحبهم واكفهم شر كل جبار عنيد وكل ضعيف من خلقك وشديد، وشر شياطين الإنس والجن، وأعطهم أفضل ما أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما أثروا على أبنائهم وأبدانهم وأهاليهم وقراباتهم، **اللهم إنّ أعدائنا أعابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن النهوض والشخوص إلينا خلافا عليهم، فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلبت على قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وارحم تلك العيون التي جرت دموعها رحمة لنا وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا، اللهم إني أستودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتى ترويهم من الحوض يوم العطش** فما زال صلوات الله عليه يدعو بهذا الدعاء وهو ساجد.

فلما انصرف قلت له جعلت فداك لو أن هذا الذي سمعته منك كان لمن لايعرف الله لظننت أن النار لا تطعم منه شيئا أبدًا والله لقد تمنيت ان كنت زرته ولم أحج. فقال لي: ما أقربك منه فما الذي يمنعك عن زيارته يا معاوية ولم تدع الحج ذلك، قلت جعلت فداك فلم أدر أن الامر يبلغ هذا؟

فقال: يا معاوية ومن يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض لا تدعه لخوف من أحد فمن تركه لخوف رأى من الحسرة ما يتمنى أنّ قبره كان بيده أما تحب أن يرى الله شخصك وسوادك ممن يدعو له رسول الله صلى الله عليه وآله أما تحب أن تكون غدًا ممن تصافحه الملائكة؟ أما تحب أن تكون غدًا فيمن رؤيَ وليس عليه ذنب فتتبع؟ أما تحب أن تكون غدًا فيمن يصافح رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

الرواية كاملة في ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص 122-123 وهي مروية بسند صحيح

حوار عن التطبير 3

لماذا التطبير؟ 10

اجابات عن التطبير 22

حوارات عن التطبير

قبل عدة أيام* زرت أحد الشخصيات العراقية، وكان المجلس يغص بالمثقفين من أساتذة الجامعات والحقوقيين وشيوخ العشائر، فجرى حديث الشعائر الحسينية والخطابة الحسينية وما ينبغي لتطويرها في الوقت الحاضر، حيث تطوّر العصر ممّا يستدعي تطوّر الخطاب، فأبديت رأيي في تطور الخطاب، وأنه في اتجاهين:

الأول: غنى المادة العلمية، والثاني: طرق العرض.

وتعرضنا لطرق عرض الكنيسة البروتستانتية للعقيدة المسيحية والأخلاقيات بشكل انفعالي متحمس، واتباع بعض الدعاة المسلمين لطرقهم مثل الداعية عمر خالد وطارق السويدان وأمثالهم من الذين يعتمدون على تضخيم المعاني واستخدام طرق علم النفس وعلم الاجتماع والروحانيات في التبليغ، وبينت أن هذه الطرق استعراضية قد يقبلها الكثير من الناس وينتفع بها، ولكنها ليست علمية بشكل دقيق وليست مقبولة عند أهل الثقافة الرفيعة، ولا عند الجهلة من العوام، فهي طريقة للوسط من أهل الثقافة، يعني طريقة لها (أناسها) وينبغي التفكير بجميع الطرق، ولعل أشملها مما ينفع كل المستويات هو نفس الشعائر الحسينية بمختلف طبقاتها وأساليبها.

ثم جرى الحديث عن أهمية الشعائر الحسينية في تثبيت العقائد والأخلاق وربط المسلم بدينه. فانبرى لي أحد المحامين وقال لي: مثلاً التطبير يجب القضاء عليه حتى يَحسُن عرض الفكر الشيعي.

* كُتبت المقالة ونشرت بتاريخ 2011/11/27 م.

فقلت له: التطبير حالة اجتماعية تعبر عن الحزن والمواساة للإمام الحسين أهل بيته عليهم السلام، وليس له علاقة بطرق عرض الفكر! وحكمه فقهيًا مختلف فيه نتيجة التشخيص في توهين المذهب من عدمه.

فانبرى لي أحد شيوخ العشائر من السادة الأشراف، قائلاً: إن هذا العمل قبيح جدًا فلا تبرر.

فقلت للسيد: سيدنا نحن لا نبرر قبيحًا، وقد قلت أن الحكم مختلف فيه، وأنت من يجزم بخلاف سلوك الفقهاء، مع أنك لا تفقه ما يفقهون ولا تعرف أساليب الاستنباط! فهل أنت أعلم من الفقهاء لتقرر قبح شيء بذوقك؟

فقال: أنا لا اعترف إلا بالسيد السيستاني حفظه الله، فهل حلّل التطبير؟ أجبني؟

فقلت له: سيدنا إذا كنت مقلدًا للسيد السيستاني فأنعم بك وبه، ولكن ليس السيستاني كل الفقه الشيعي أوّلاً، فلا ينبغي أن تحجر على الشيعة بالتقيّد برأي مرجع واحد، وتحاول أن تستسخف الآخرين، وكلهم في الإسلام والإيمان سواء. وثانيًا: ينبغي أن يكون السؤال الصحيح هو : هل حرّم السيد السيستاني التطبير؟ أنا أجيبك أنه لم يصرح بذلك قط، فكيف تدعي أنه حرم؟

فقال : بل حرّم.

فانبرى له أحد معتمدي السيد السيستاني حفظه الله، وكان حاضرًا في المجلس، فقال: لم يصرح السيد بمثل ذلك قط يا سيد، فكلامك غير دقيق.

فقلت للسيد الشريف: سيدنا أنت تعلم بأن أي عدو يتمنى أن يزداد عدوه في القبائح، فأول ما يفكر به الأعداء هو نشر الرذائل والقبائح التي يعيّر بها بين الأعداء، أليس ذلك صحيحًا؟

فقال: نعم، العدو ينشر القبائح بين أعداءه .

فقلت له: لماذا نرى حرص أعدائنا من الكافرين وممن يدعي الإسلام [وهو بريئ منهم]، على محاربة التطبير والنيل منه ومنعه بالقوة بل بالقتل والتنكيل والتعذيب؟

فسكت السيد.

فقلت له: من الواضح أن هذا العمل في نظر الأعداء أنه يقوي جنبة المؤمنين، ويحصنهم من الإختراق، ولهذا يمنعونه ويحاربونه ماديًا ومعنويًا وإعلاميًا، ولو كان شيئا قبيحًا لاكتفوا بتشجيعه والتشنيع به، وعليه.

فهل تنسى سيدنا ما قامت به الحكومات الجائرة من تنكيل ومنع وحرب شعواء على التطبير والعزاء الحسيني عمومًا، ولكن التطبير نال قسطًا خاصًا؟

فقال: صحيح أنه محارب بشدة ممن يكره التشيّع كرهًا شديدًا.

ثم سكت.

فعرفت أنه أدرك الواقع، وأنه قد تسربت لنفسه شنعة، خلقها في نفسه الحزبيون من البعثيين الذين كانوا أبواقًا لصدام في منع الشعائر والتطبير على الأخص.

فاكتفيت بهذا، لئلاّ أحرجه، واكشف أنه ألعوبة بيد الأعداء، وهو يدعي الحرص على مذهبه.

ثم قلت للحضور، إنّ مسألة التطبير مسألة تحتاج للكثير من الدراسات ومن السيطرة لترشيد هذا العمل الذي يُرهب الأعداء ويذيب قلوبهم، ويبعد عن أعينهم النوم والراحة، وعلينا أن ندرس

أسباب هذه الظاهرة؟ وما هو المفيد منها؟ وما هو المضر؟ فنتجنب الضار، ونتعمد المفيد لثقب قلوب أعدائنا وزيادة قلقهم وحنقهم، ليتعذبوا في الدنيا قبل الآخرة.

وأضفت، قد يقول البعض، إنّ الأعداء قد يزدادون حربًا، فنقول لهم: وهل وفروا مادة للحرب لم يستخدموها ؟ حتى إن الشيطان ليعجب من حقدهم ومكائدهم ويذهل من فشلهم وزيادة الإيمان في الشيعة. ثم لماذا يعادوننا على هذا العمل؟ فنحن نؤذي أنفسنا، فهل هم أوصياء علينا؟ وهل نحن نؤذيهم حتى يتأذون من هذا العمل ويسخرون له جيوشًا وأموالاً، كما صرح صدام حسين في اجتماع القياديين سنة 1997 بقوله: «وهل ذهبت كل الأموال والجيوش في منع الناس من التعلق بالحسين سُدى، فأين عمل حزب البعث إذن؟»

وأقول: قد يقول البعض إنّ قسمًا من العلماء حرّم ذلك. فنقول بأن هؤلاء العلماء إنما حرموا، كردٍّ فعل لعمل الأعداء الإعلامي لما يكون من الشنعة، ولو خلا الأمر من ذلك، لما وسعهم التحريم الثانوي، فهم أرادوا تفويت جريمة المجرمين بحقنا.

ونحن هنا نتكلم عن منع الأعداء لما ينبغي أن يشجعونا عليه لو كانت شنعتهم حقيقية، فنحن نراهم ينشرون بين المسلمين الدعارة والكذب والرذائل ليكون المسلم راخيًا منبوذًا فلماذا يمنعون التطبير؟ وهو من أشنع الأمور كما يدّعون؟

وأشرت إلى أن التطبير أصلاً هو عمل سني للجيش الإنكشاري التركي، ولكن الحكومة التركية منعته حين رأته انتشر بين الشيعة، وجاء الانجليز للعراق فمنعوا الشعائر الحسينية، كما تفننوا في منعها في الهند 300 سنة ولم يفلحوا قط، وجاءت الحكومات العراقية العميلة فمنعت التطبير وبعض

الشعائر التي بها الشنعة كما يقولون بالسيف والمال والإعلام. فهل كل هؤلاء المشنعين حريصون على سلامة التشيع من التشنيع؟ ويحرصون على سمعة وسلامة التشيع؟ فأين حربهم إذن؟

إنها لقضية عويصة جدًا ، لا تنسجم في داخلها.

مرة كنت مع مجموعة من الأصدقاء في إحدى العواصم الأوروبية لزيارة الجالية الإسلامية، جاءنا أحد الأخوة فقال لي: سمعت أن بعض الأخوة إدعى أن أكبر عائق لنشر الإسلام هو التطبير. فقلت له: هذا سمعناه من أحد الاخوة وقد اجبته بصحة قوله، بدليل أن الإسلام والتشيع بالذات هو أكثر المذاهب والديانات انتشارًا في أوروبا عند غير المسلمين وعند المسلمين، فقال: لو لم يكن التطبير لكان الانتشار أسرع.

فقلت له: إذا كان منظر الدماء في المجتمع تعيق انتشار الديانة فما تقول في السادية المنتشرة في أوربا؟

فقال: أ تقيس السادية بشعائر الحسين عليه السلام؟ فهذا غير مقبول ولا قياس، فقلت له كلاهما ظاهره تعذيب وعمل غير مُرض عندك، فسكت صاحبنا لتورطه فيما لا يفهم.

فقال لي السائل عن هذه القصة: أنا في إيطاليا وكل عام عندنا في بلدتنا تسير مسيرات فيها التطبير وتعذيب الذات من أجل المسيح، وهو أبشع منظرًا من عزاء التطبير، فهل تريد التسجيل فإنه عندي. فقلت له: وهل نحتاج إلى تسجيل وفي كل سنة نرى في الفلبين مواكب التعذيب للذات والدماء والتطبير من أجل المسيح. ونرى في العراق وفي تركيا مواكب الدرباش وتعذيب الذات بالسكاكين، كذا في الهند في مناسبات دينية. فلسنا نحتاج لأفلام مواكبهم لنشرها، ولأننا لا نريد

التشنيع، فلهذا لا نستغلها، بينما هؤلاء الذين يدعمون هذه المواكب يتهجمون علينا، وهذا دليل على نظرهم السياسي الدقيق.

بالمناسبة في سنوات الحرب الصدامية مع إيران وفي إحدى المرات أخذ صدام يروي لقياداته المتقدمين أمام عدسات التلفزيون قوة إيمان أهل الدرباش وأنّ تحملهم للسكاكين دليل قوة إيمانهم وقربهم من الله وأنهم إنما لم يموتوا لقوة الإيمان الرهيبة التي يمتلكونها، وكان يحضهم على الدرباش من أجل قوتهم في المعركة. وهذا الواعظ القذر نفسه، كان يشن حربًا دموية على التطبير وعلى الشعائر الحسينية .

فيا سيدي هناك تفكير فقهي في الموضوع وهو موكول إلى الفقهاء وهناك تفكير إعلامي وسياسي، وهو ما نتسائل عن تناقضاته.

نحن على صلة بكل السياسيين ومنذ زمن طويل فحتى في زمن ومكان الإذن والسكوت عن التطبير، كانوا يبلغونا انزعاجهم وأنهم إنما يمتنعون عن المنع، لأسباب تتعلق بالاستقرار (أي أنهم يخافون الثورة) .

فمثل هذا الموضوع يحتاج إلى نظر من زوايا متعددة وليس من زاوية واحدة.

فليس من المعقول أن نردد ما يقوله أعداؤنا فينا، من دون أن نعي مرادهم الحقيقي ونقيسه على فعلهم وتصرفهم في الموضوع.

ويبقى السؤال ،سواء سمح من سمح أو منع من منع ، أن من منع من أعدائنا مثل الحكم التركي والإنجليزي والملكي خصوصًا في وزارة ياسين الهاشمي والحكم الثوري سيما في فترة البعثيين

التي وصلت لحد القتل والإعدامات والتعذيب بالجملة، فما يقصد هؤلاء الأعداء المانعين، هل يقصدون تحسين صورة التشيع؟

ولماذا يهجم المتعصبون ضد التشيع في باكستان والهند ويقتلوا في كل سنة عشرات بل مئات القتلى في سبيل منع الشيعة؟ فهل هذا من أجل محبتهم؟

هنا هو بيت القصيد.

وكل ما أريد قوله في نقل هذا الحوار، أن يكون أخوتي على وعي تام بأهمية الشعائر الحسينية، وكونها العقبة الكأداء أمام الأعداء، الذين فكروا ولا زالوا يفكرون بإزالتنا، حتى لا يأتيهم المصلح العربي الذي يصلي خلفه المسيح، فهم متأكدون من زوال كل حضاراتهم على يد ذلك المصلح، وذلك المصلح سينهض بهؤلاء أصحاب الشعائر الحسينية، فلهذا يفكرون بهم ليل نهار لتدمير عقائدهم وولاؤهم وديانتهم وأخلاقهم. فإلى الجد والعمل لنتحصن عقائديًا وأخلاقيًا وفكريًا، بخلاف ما يريده لنا أعداء المصلح الآتي لا محالة.

لماذا التطبير؟

الإنسان كعنصر أساس في تكوين المجتمع البشري والحضارة البشرية، له خصائص ميزته عن باقي مخلوقات الله سبحانه المعروفة والمرئية على هذه الأرض.

وأهم خصيصة له هي قدرته على التعقل والخيال وعلى تنظيم الأفكار وتطويع الخامات، وهذه القدرة هي التي جعلت منه سيدًا على الكرة الأرضية تخضع له الحيوانات والنباتات، وقد أثّر بأفعاله وحركاته على مناخ الكرة الأرضية، رغم عدم المقارنة بين حجمه وحجمها. وهذا للتدليل على خطورة هذا الإنسان الضعيف المتأتية من القدرة العقلية والقدرة على تنظيم الأفكار والإبداع.

ومن جملة خصائص الإنسان قدرته على التلقي، وميزاته النفسية وقدرته على اظهارها من جهة، وعلى التحكم بها من جهة ثانية. ولهذا فإن الصراع في حياة الإنسان ليس أمرًا ثقافيًا أو تربويًا، وإنما لمجموع قدرات الإنسان ونزعاته، وعدم رغبته بالسيطرة على هذه النزعات والقدرات وميوله للاستكمال وطلب العز والجاه، نراه يفتعل الصراع من أجل أن يتفوق ويظهر براعته وقدرته.

وهذه الميول والملكات التي خلقها الله، وما يتبعها من دمار هائل، هي الداعي الأساسي لإرسال الرسل والمبلغين عن الله، من أجل إسعاد الإنسان وانسجامه مع الكون بضبط هذه الميول غير المعتدلة أساسًا، وهي بنفسها سبب الكفر ومحاربة الأنبياء كحالة طبيعية للصدام من أجل التفوق ولو بالباطل.

والذي يقوم بالصراع يعرف ما يريد ويعرف كيف يصارع، سواء كان ناجحًا أو فاشلاً، ولكنه يعرف ما يريد.

ومن خصائص الصراع أنّ المصارع يستهدف الطرف الآخر ويحاول استغفاله وتخديره من أجل تفادي ردة فعله، والاستهداف يكون بقرار إبعاد الطرف الآخر عن طريقه – بمختلف المستويات – والنظرة إليه كعدو والريبة من كل تصرفاته لئلاّ يأتي بردة فعل تُفشل غايته من الصراع والتحرش.

وهذا بشكل عام، وإنما نذكره، وهو بديهي، من أجل بيان المسار العام لصراع الأفكار والمواقف. حيث ينبغي أن نركّز على خصائص الهوية والانتماء.

إنّ المصارع الأساسي لا بد له من أدوات وخامات للصراع، وأهم الأدوات والخامات هو الإنسان نفسه، حيث يمكن تسخير كل الطاقات فيه لنجاح الصراع، وهذا يقتضي أن يجعل قائد الصراع يفكر بطريقة تربط الإنسان العادي بمشروعه من أجل أن يكون جنديًا، وتوفر الطبيعة الإنسانية مثل هذا الغرض في داخل الإنسان، وأول هذه الطبائع هو الانتماء بكل معانيه وآلياته.

الانتماء سيف ذو حدين، فتارة يكون الانتماء لفرد أو لفكرة ضالة، وتارة يكون الانتماء لحقيقة إلهية ساطعة ممانعة من الظلم والجور. وحسب قوة الانتماء ينسب الشخص لذلك الاتجاه. ويبقى الإنسان اللامنتمي هو خلاف الطبيعة البشرية وهو أشبه بالحيوان التائه في الشوارع. فالانتماء هو نفسه الأمان للإنسان، حتى أن قائد الصراع نفسه فإنه سينتمي لمجموعته التي خلقها هو بنفسه وإلا فإنه سيخسر ويضيع إذا لم ينتم لهم.

ومن خلال الانتماء وخصائصه تتشكل هوية الإنسان. وهي عبارة عن الانتماء أولاً الذي يستدعي معرفة من يكون؟ وماذا يريد؟ ومن يكون عدوه ؟ وماذا يريد؟ وما هي أدوات الطرفين؟ وكيف تستخدم؟

ومشكلة الدين الحق، في خضم الصراع الإنساني، أنه يُستهدف في الصراع من قبل أصحاب الأهواء والطالبين للعلو في الأرض، وهو من جهة أخرى يركز على زيادة الإنتماء لله، بينما يطلب المصارع الإبتعاد عن الله وشريعته، لأنها تضع العراقيل الحقيقية أمام تطلعاته ونفوذه. فبشكل طبيعي -كما خلقه الله الإنسان- يجب على المتدين أن يحاول الدفاع عن نفسه بزيادة الانتماء وبوضوح الهوية، ولكن لأن الديانات الحقيقية سلمية وتمتلء بطيبة القلب وحب الخير وحمل الناس على الأحسن، يغفل المتدين عن حجم الشر الذي يختزنه الكافر داخل نفسه، ويغفل عن إرادة الشرير لتدمير كل ما هو خير الذي يعتبر الخير شرًا مطلقا لأنه يضع القيود على يديه ويجعله انسانًا ثانويًا لما يمتلك من شر، وهذه الغفلة هي أهم مشاكل الأديان، حيث أن كل تحريف حصل في الديانات كان بسبب استغلال الأشرار لمساحة الحرية والطيبة القلبية المصنوعة من قبل الديانة الحقة، للتسوّر على القرار الديني وتحريفة والسيطرة على مجتمع الايمان وتحويله إلى مجتمع الأشرار كما حصل للديانة اليهودية والمسيحية والإسلامية على السواء، ولعل غيرها من الديانات الحقة التي انحرفت إلى الوثنية وما شابه ذلك نتيجة هذه السيطرة من قبل الأشرار.

النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، كان يعرف هذا، وصرح به، ولم يرد أن ينتهي دينه ويوأد على يد الأشرار نتيجة هزيمة عسكرية كما اندثرت نبوات كثيرة في الأرض، وإنما أوجد منظومة داخلية، تتمسك بالديانة وتمنع التحريف، وتصارع بقوة وبطريقة ناعمة، وهي قادرة على تحويل كل انتصارات الأشرار إلى هزائم دينية وخزي فكري، وهذه المنظومة هي منظومة أهل البيت عليهم السلام بكل خصائصها.

إن منظومة أهل البيت منظومة عجيبة التنظيم والتكوين، ورغم ذلك فهي عجيبة التأثير في المسار العام في الإسلام، وهذا بحث يطول خارج احتصاص هذا الموضوع.

ولن نتكلم عن أسرار التنظيم الديني في المنظومة الشيعية الإمامية التابعة كليًا لأهل البيت عليهم السلام، فالمكان لا يسمح بمثل ذلك، إنما نتكلم عن وسائل نشر هذه المنظومة، في ظروف تزايد العداء لها وتزايد القوة ضدها، وكيف أنها يمكن تشبيهها بغصن شجرة كلما قاومته إزداد صلابة حتى يصل إلى صلابة تفوق الحديد فتكسره. فكلما ازادات الضغوط ينتشر التشيع، وسر ذلك نابع في التنظيم وفي وسائل التوصيل.

إنّ وسائل توصيل الفكرة الشيعية للإنسان تتكون من عدة فروع:

الأول هو الاعتناء بالعقل ونشر قوة التمييز

الثاني هو الروحانية وحقائقها المذهلة

الثالث هو العاطفة ومنابعها المتعددة

الرابع هو الفن.

وهذه الأصول الاربعة لنشر الأفكار عند الشيعة جعلتهم متميزين جدًا في العالم أجمع، فالشيعة يملكون أكبر نسبة بين الأمم في الاهتمام بالعقل والتمييز العقلي وعلوم العقل، وهم يمتلكون أفضل الروحانيات الحقيقية التي تشرق بالنفس بدون حاجة إلى أي شيطان وتلبسات سحرية مفتعلة، وهم يملكون أفضل الوسائل العاطفية، وهم مخترعوا أفضل سبل التواصل الاجتماعي العاطفي، وهم يملكون أفضل وأرقى الفنون حيث أن الشيعة يمتلكون أكبر نسبة عالمية من الشعراء ومن ألحان الشعر. فلا يوجد عند أي أمة نسبة شعراء إلى عددهم بهذه النسبة، فإنك ما تحب شاعرًا مجيدًا إلا وتجده شيعيًا، وفي أربع لغات على أقل تقدير هي العربية والفارسية والتركية والهندية.

ولعل استراتيجة التنظيم الشيعي على يد الأئمة الأطهار عليهم السلام، في قلب الطاولة على رؤوس الأعداء وتحويل بطشهم وتزويرهم إلى نحورهم، هو من الاستراتيجيات العقلية الرائعة، وقد استخدم الأئمة عليهم السلام في ذلك الإعلام والعاطفة ومنطق المحاججة بطريقة الخُلف، والإعلام كان في زمنهم هو الشعر والشعراء وفنون الأدب، والعاطفة كانت تتمحور حول المظلومية لأهل البيت عليهم السلام، وإبراز قبح بطش الظالمين بشكل تجسيمي ظاهر للعيان، يقزز أي عاقل من سلوك هؤلاء المخادع للبشر، بحيث سيكتشف كل متحول إلى الحقيقة، بأنه وأهله كانوا العوبة بيد مجرمين قبيحين لا يمكن وصف قبائحهم، ولكنها كانت مستورة إلى درجة رؤياهم لها بطريقة معاكسة، فكل الشر يظهر أمامهم بأنه خيرٌ لطيف محبوب، وهذا ما يغيظ المكتشف لهذه الجريمة، فإنه يتعجب من نفسه ومن أهله، فكيف كانت تنطلي عليهم هذه الحيلة العجيبة؟ وكيف أنّ التشيع كشف هذه القبائح بطريقة منظمة جدًا؟ هكذا يتسائلون نتيجة انكشاف حقيقة الجريمة.

إن المجتمع الشيعي كمجتمع مبدع في اتجاهه الإبداعي، استقى وطوّر كل وسائل تسخير العاطفة في النفس الإنسانية ليكون قريبًا حتى ممن لا حظ له من دين وعلم وتربية راقية.

وكان منها الممارسات الحسينية وغيرها من ممارسات الأفراح والأحزان، وقد بلغ الشيعي فيها حد الكمال، فلم يبقَ أي مجال فني أو اجتماعي أو عاطفي إلا وأخذه وطوره، من الحزن القلبي الرقيق إلى العاطفة العنيفة المضمخة بالدماء، وهذا هو كل مجال العاطفة الإنسانية من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال.

وكل قائد مدرك يعرف الحاجة لهذا الاتساع في مساحة العاطفة وآلياتها، فلن يفرط في الرقة الزائدة ولن يفرط في العنف ولن يفرط فيما بينهما، لأن طبائع الناس تميل لكل هذه المجالات، ولكل

منها أنصارها وهواتها والمدافعين والمحبين إلى درجة القناعة المجسدة بهم شخصيًا، وهذا قمة التطويع المعنوي ليتحول المعنى إلى شخصية خارجية.

وقادة الشيعة يدركون ذلك، ويعرفون أن الأئمة الأطهار عليهم السلام لم يتركوا أي مجال في مساحة العاطفة إلا ودخلوها، وما يُقال أن الأئمة سلام الله عليهم لم يطرقوا باب العنف، فهو كلام من لا يعرف القصة، ولكن لأن غاية العنف في المجتمعات في أيامهم هي اللطم الشديد والبكاء والعويل والحماس في ذلك فكان الأئمة عليهم السلام يمارسونه ويدفعون الأنصار له بشدة. ولم يكن في المجتمعات الإنسانية أي صيغة أدبية عاطفية تعبيرية عن العنف أكثر من ذلك، لأن شرط العنف عند أهل البيت عليهم السلام هو أن لا يمارس مع الآخرين وأن لا يكون مضرًا فعليًا إلى درجة خطيرة ولن يخترعوا عنفًا لم يتقبله زمنهم. وهذه هي الضابطة الكلية لكل التعبير العنيف عند الشيعة مهما تغير وتطور، وكل اقتباس للعنف من الآخرين إنما يكون بهذه الضابطة.

وفي زمننا وصلنا إلى تعبير عاطفي عنيف يقوم به بعض الشيعة، وهو ضرب السلاسل والسيوف على جلد الإنسان.

وأصبح هذا واقع في المجتمع الشيعي، ومنذ أكثر من قرن واجه العلماء والمراجع هذا التطور ووجدوه غير ضار، ولكن بعض العلماء اقتنع بأن الأسلم أن نجنب التشيع الوصول إلى هذا الحد، لكثرة التشنيع عليه. وقد فاتهم أن موجة العنف هي موجة حضارية متصاعدة لا يمكن تفاديها، وأن المنتقدين هم من يمارس العنف بأبشع أشكاله، وذلك لمجرد اللذة، فأفلام هتشكوك ونجاحها الرهيب لم تكن نشازًا في المسار العالمي، فإنّ أفلام هتشكوك وما تبعه من أفلام "الأكشن" وكل الصيغ الفنية والأدبية إنما هي تعبير عن تطور المجتمع البشري نحو الميل للعنف، وبدونه لن تنجح البشرية في أداء

مهماتها، وهذا من المسلّمات في علم النفس والاجتماع، وهي ظاهرة دُرست ووجدت أنها لا بد منها، وقد اخترع بعض علماء النفس المجرمين أقسى حالات العنف والتلذذ به.

الفرق بين العنف في العاطفة الشيعية وبين العنف في العاطفة الأوروبية مثلاً أو الهندية في بوليوود هو أن العنف الشيعي يمارس مع النفس بحدود عدم الإضرار، بينما العنف في الحضارات الأخرى يُمارس مع الآخرين، وهذا هو مقتل هذا الأسلوب من العنف الذي يؤدي إلى ضياع المجتمعات ونشر الفوضى، بعكس العنف الشيعي الذي يؤدي إلى ضبط المجتمعات واظهار قوة الإرادة في تنظيم المجتمع.

والعنف الشيعي بهذا القدر لا يجوز المساس به، لأنه يمثل نفس الموجة العالمية، ولكن بشكل مشذب ومهذب، ويؤدي إلى اصلاح المجتمعات لا إلى افسادها.

ولو أجرينا مقارنة بين تأثير افلام هتشكوك على المجتمع الأمريكي وبين التطبير على المجتمع الشيعي، لكانت المقارنة مليون مقابل صفر، فإن الرئيس الامريكي بيل كلينتون صرّح قائلاً : إن الدراسات أثبتت أن انتشار الجريمة في أمريكا مصدرها الأساسي أفلام الأكشن، وقد بلغ عدد السجناء في أمريكا بالملايين نتيجة ذلك، وبينما لم نجد سجينًا واحدًا ارتكب جريمة متأثرًا بالتطبير إطلاقًا.

فهذه ظاهرة غريبة جدًا، أليس كذلك؟

حيث أنّ عنفًا يؤدي إلى نشر الجرائم، يقابله عنف يؤدي إلى إنعدام الجرائم.

فهذا هو العنف الحضاري وليس عنف هتشكوك ولا روايات العنف والأكشن العالمية.

وهنا نأتي إلى مسألة في غاية الدقة.

وهي موقف الكثير من المثقفين الشيعة من هذا الموضوع معتقدين أنهم يحسنون صنعًا.

إن مقتضى الهوية الشيعية أن ندرك أنّ أي محاربة لمشروع اجتماعي شيعي غير مخالف للشريعة بحجة إرضاء الآخرين، هو ضعف في الهوية، فحتى لو كنا لا نتفق مع هذه الظاهرة إما نتيجة تقليد أو اجتهاد ديني، أو نتيجة تأثيرات حضارية متبادلة، فعلينا أن نحوّل هذه الظاهرة إلى سيف مستغل يضاف إلى أدواتنا في الصراع. فليس المطلوب منّا أن نكون مقتنعين بهذا الأسلوب العاطفي أو نمارسه، وإنما المطلوب منّا أن نستغله وندفع بخيره إلى أبعد الحدود وندفع بشره إلى اقصى المواقع عنا.

فإن تعبيرنا بحرية عن اعتراضنا في هذا المقام يعتبر نقصًا في الهوية وفي الانتماء، وهذا ما قد يغفل عنه المؤمن، وهو نفس السبب، ونفس الغفلة التي أدّت لإنهيار الإسلام وسقوطه بيد الجبابرة وأعداء الدين. فإن ضعف الانتماء والتفرج هو الذي يريده منا العدو.

ولماذا أعطي العدو المتربص هذا القدر من التساهل، حتى لو كنت لا أؤمن بطريقة إخواني في التعبير ؟

وعليّ أن استعمل ما يغيظ العدو ضده، بدفع الموضوع ثقافيًا، نحن ازعاجه وتحقيق النجاح في المعركة الفكرية.

قد يأتي من لا هوية له، فيقول أنه لا يوجد صراع معنا، ونحن لا نرى أي معركة، وما شابه ذلك، فلن أقول لمثل هذا إلا جملة واحدة : أنت لست مصارعًا ولا تفهم ما يدور حولك، فنم جيدًا، حتى تستريح.

فإن مثل هذا الشخص لا إحساس عنده بما يجري، ولهذا ليس هو الشخص المخاطب بكلام العقلاء والمدركين لحجم الهجمة، فإن المعركة تحتاج جنودها ولا يوجد من يشغل نفسه بمن لا إحساس عنده وهو في قلب المعركة.

وهنا أؤكد أنه ليس مهمًا أن نؤمن بكل وسائل الإبداع العاطفي، فإن من يؤمن بالتطبير قد لا يستسيغ الحزن العميق ويعتبره معيبًا لرجولته، ولكن ليس من حقه أن ينتقده ويعيره به. فلكل مساحة عاطفية ورواد يستفيدون من تلك العاطفة ويفيدون. فأنا شخصيًا وقد صرحت عدة مرات لا أرغب بالنظر إلى منظر التطبير مطلقًا، منذ طفولتي ولحد الآن، ولكنني أجده أداة فعالة جدًا في يدي لتدمير العدو من داخله، بطرق فنية. منها كونه رسالة مهمة، ومنها كونها تربية عنيفة تقابل عنف الأعداء الذين يقومون بذبحنا بشهية ويتدربون على ذلك وقد نشروا عنفهم بشكلٍ محزنٍ ومخزّن في البشرية. ونحن الآن بأشد الحاجة لرجال قلوبهم كزبر الحديد يدافعون عنّا وعن فكرنا وعن ذواتنا التي تحمل هذا الفكر، ولا يمكن أن يكون ذلك بيد ناسك أو مثقف مُنّعم لا يجيد إلا الكلام والنوم. إنما هي بيد قوة حقيقية لا تهاب الموت ولا تخشى من الدم.

فعنفنا عاطفي غير مضر، وعاطفتنا الحسين عليه السلام، وحسيننا يقول للجميع: الويل لمن يريد اطفاء هذا النور، سأرسل لكم من لا خلاق لهم عندكم ليعلموكم الأدب مع أولياء الله.

وهنا نأتي إلى مسؤليتنا في الصراع الإعلامي، والحملات التي تشن علينا.

إنّ الهجمة الإعلامية لم أرها قد نفعت في مجتمعاتهم ولم تحصنهم من قوة نفوذنا، فنحن قد نمونا في السنين العشرة الاخيرة بنسبة قد تزيد عن 3٪ ليس من جهة المواليد بل من جهة المقتنعين والمتحولين الواعين الذين أدركوا الحقيقة، فإن مجتمعات بالكامل ستتحول عن قريب إلى التشيع، وكل

إعلامهم ذهب سدى. ولكنه نجح في تحريك «متقنعرينا ومتفيقهينا» في الهجوم على مجتمعهم وتعطيل الفوائد التي يمكنها أن تنفعهم. إن الاعلام لم يؤثر إلا في المثقف السطحي الشيعي، ولم يؤثر في وقف النمو الشيعي.

ولو سألني أيّ سطحي من أبنائنا، عن كيفية الاستفادة من التطبير، لقلت له: إن أبسط طريق، هو أن تقول للعالم: هذه مناسبة لأحدثكم عن مبادئ التشيع في العدل والعقل، وهذا الحدث إنما أوجدناه من أجل أن تسألني يا طيب القلب.

هل تخجل من ذلك؟

وأن رسالتي إلى الأعداء هي ما يلي: إذا كنتم تستقبحون هذا العنف، فجيد جدًا، فعليكم تشجيعنا عليه من أجل تشويه سمعتنا، والسماح به في كل العالم، وعدم منعنا المتكرر الدموي كالذي تمارسونه لحد الآن، وعليكم أن تبذلوا لنا المليارات من الدولارات لتطوير التطبير، وسترون كيف سنكوّن جيشا بلا تجييش، بل لمجرد الإستعداد النفسي، وهو جيشٌ مستعد لنصرة المصلح الأكبر الذي سوف لن تنفع مع جيشه حيلة ولا تكنولوجيا والذي سيخترق العالم أجمع بهذا الجيش من المشوهين، فتفضلوا يرحمكم الله وساعدونا على تشويه صورتنا بالتمادي في الأمر، وسيعود نفعه عليكم حيث سيتم هدايتكم إجبارًا وسينعم أبناؤكم بعز نصرة الله .

ونأتي إلى مسألة في غاية الأهمية، وهي أنّ التطبير بدأ يخرج عن السيطرة .

وهذه مقولة نسمعها كثيرًا .

ونقول إما أنه خرج عن السيطرة فهذا موضوع خفي لم نشعر به ونحن في وسط الحدث، وقد شعر به من هو خارج الحدث وكاره له ومحارب له. فلا يوجد شيء في التشيع يخرج عن السيطرة لأن التشيّع فيه حرية مثل حرية السوق فسيرتد السعر المرتفع إلى ما كان عليه تكوينًا. نعم رأينا ظاهرة غير مرتبطة بالحسين عليه السلام وقد حدث تطبير في مناسبات غير حسينية نتيجة جهل أبنائنا، وكذلك يمكن أن لا نوافق بتطبير الأطفال، ولكن هذا قديم ولا يقال أنه خرج عن السيطرة .

وأما أسباب الخروج عن السيطرة المدعاة فهو معاداة الكثير من المثقفين لهذا العنف المدروس الذي يخدمهم وهو آلة بيدهم، فلَم يدخلوا فيه ويريدونه بيد العوام والرعاع، حتى يكون بمستوى منخفض، فتركُ المثقف له هو ما يجعله بلا ضوابط – إذا كان ذلك موجودًا – وعلى كل من يرى وجوب ترشيد التطبير عليه أن يدخل بين المطبرين ويثقفهم نحو الترشيد، بترك تطبير الأطفال ، وترك الهوس المضر وما شابه ذلك، وجعله منبرًا كلاميًا ثقافيًا يوصل رسالتنا العنيفة بشكل ناعم وسلس.

فمن يريد الترشيد ليس عليه أن يستعلي ويوجه الإنتقادات لإخوانه، بل عليه أن يندمج معهم ويغذيهم بالفكر السليم وبالروح المعنوية لنصرة الحق واليقين.

أ يُعقل ايها المثقف الشيعي أن تكون بوقًا لعدوك وتستقبح ما يكرر استقباحه واستشناعه، وأنت تؤيده؟

ألم يرد في ذهنك أن هذا جزء من الهجوم على مذهبك، فبدلاً من أن تقف بوجه إخوانك عليك أن تقف بوجه أعدائك، وتطرد أفكارهم من مخيلتك.

إننا لاحظنا أن أشدّ الناقدين المتأثرين بكلام أنصار هتشكوك المجرم هم بعض مثقفي الشيعة، وإلا فإن أولائك لا يؤمنون إلا بالذبح الحقيقي، ألم تسمعوا بأنهم ذبحوا أبناءنا في العراق وقدموهم مسلوقين طعامًا لأهلهم؟ فأين روح التطبـير من تلك الروح الإجرامية؟

وأيُّ قياس تقاس به جريمة كل أعدائنا ومخالفينا بلا استثناء؟

نحن لا نريد أن نقول بأن جريمتهم تبرر ما نفعل، فنحن لا نفعل جريمة، وإنما نوجه رسالة عنف لا نرتكبه بحق أحد. تقول بأننا على استعداد للدفاع عن هويتنا ومستقبلنا الذي هو مستقبل سعادة الكرة الأرضية على يد إمامنا صلوات الله وسلامه عليه. وهم من يفعل الجرائم البشعة فقط، ونحن لا نقبل بأي جريمة إطلاقًا، ومذهبنا مذهب العدل الذي يمنع الجرائم منعًا جذريًا.

أدامكم الله ذخرًا لهذه الأمة المرحومة، والحمد لله ربّ العالمين.

اجابات عن التطبير

من أجل الجواب عن تساؤل بعض الأخوة خصوصًا من طلب أن يرى كيفية الاستفادة من هكذا واقع اجتماعي بقوله: (أكون أنا خارج الموضوع لأني اريد استئصاله، فأترك لكم أيها الأخوة الحوار حتى تتحفونا بآليات عملية للوصول إلى مبتغاكم). وطالب بعض الأخوة أن ننتقل إلى الكيفية بقوله : (مولانا المنار كان بحثكم إلى الآن عن مرحلة [هل يمكن] وبعد فرض الإمكان يأتي البحث عن مرحلة [كيف يمكن]) ونقل نفسه عن بعضهم قوله : (إذا الذين آمنوا بها ودافعوا عنها واستماتوا في الدفاع عنها بكل وسيلة لم نرَ استثمارًا حقيقيًا وجادًامن قبلهم لها .. وها نحن نتجاوز القرنين، ولم نرَ استثمارًا، أم أن المسألة تظل فقط تتحرك بالحبر على الأوراق؟! .. ولا تتجاوز رسم الهالة الخاصة بها ومحاولة دفع الناس لها؟! .. ارسموا لنا ذلك الواقع الذي يمكننا استثمار هذه الظاهرة بشكل إيجابي..).

فهذا يدل على أن الأخوة لم يقرأوا بين السطور، بل بعضهم لم يقرأ سطح السطور. لأنني قد أجبت عن الكيفية والآليات بأشكال متعددة، وقد طلبت المساهمة الإبداعية من الأخوة.

وقبل كل شيء فهذا الموضوع موجّه لمن يؤمن بامكانية استغلال الظواهر الاجتماعية ولو كان لا يؤمن بها نفسها. وهذا يحتاج إلى مرونة فكرية وعدم تحجر بالإلتزام بالأشخاص دون الأفكار، بمعنى أن أفكارهم تدور حول شخوص يعتقدون بها مهما كانت محترمة.

والموضوع ليس لتأييد الظاهرة أو منعها، فهذا بحث فقهي ليس من مسؤوليتنا، ومن يريد أن يبحث في هذا، فيمكنه أن يبحث في أي منتدى فقهي فقهية الأدلة الفقهية بدون قال فلان وقال علتان، بل الدليل هو سيد الموقف. فلا ينفع حشد التأييد من هذا الطرف أو من ذاك، ولا ينفع أن الغالب يقول بالإباحة فالغالب قد يقع في اشتباه وقد يكون التوفيق مع القلة، ولا ينفع أن النافي أهم وافضل،

فهذا غير محرز، بل الصحيح هو مناقشة نفس الأدلة، وهذا عمل فني لا يجيده رواد المنتديات العاديون. وإن كان في في بعض منتدياتنا مجتهدون حسب معرفتي، ولكنني لا استطيع ان ادعوهم للبحث لأنهم جميعًا يؤمنون بالإباحة ولا أعرف غيرهم إلا طلبة غير متمكنين حسب علمي، فيكون الأمر وكأنه تحيز وهذا غير لائق، ولهذا فلو كان في من يرى صحة المنع أن يستدعي مجتهدًا جامعًا للشرائط ليناقش في الموضوع فلعلنا نستمتع بنقاش علمي نراه بين متمكنين، ولا حياء في الدين ولا تعصب، إنما الدليل سيد الموقف، وحسب قراءة هذا العبد الضعيف، فإن كامل حجج النافين هو التشكيك في أدلة الاستحباب لمن قال بها، وأما غيرها فهي أحكام ولايتية قابلة للنقض بشكل واضح وهنا مصدر من مصادر الاستمتاع العلمي باثبات ما هو أكثر من ذلك، بابداعٍ في الالتفات لأدلة لم تطرح لحد الآن.

وأزيد فأقول: بأن هذا الموضوع هو للمتحمسين لمجتمعهم وتشيعهم، لا الذين يريدون التشيع مطية لأهدافهم، وهو عبارة عن مجرد سلاح سياسي جاهز، أو الذين يخجلون من تشيعهم أمام الأعداء، فيتمنون أن يُشذّب التشيع، ليكون مقبولاً عند الأعداء، هؤلاء لن يصلوا إلى ما يأملون به إلى يوم القيامة، لبقاء الخير والشر متقابلان إلى يوم الدين فلن يقبل الشر الخير مهما كان، إلا أن يتحول إلى شرٍّ مثله.

وأكرر فأقول : إن هذه الظاهرة هي الجزء العنيف جدًا من ظواهر الممارسات الحسينية عند المجتمع الشيعي، وهي ليست كل الممارسة، وليست في أهمية جميع المظاهر الحسينية، وإنما نبحث فيها لأنها أكبر هدف معلن عند الاعداء للتشنيع، ولكننا نواجه عداءً من بعض الشيعة لهذه الظاهرة، اشد عداء متصور، وهم غير مقصودين بهذا البحث، لأننا لا نقوم بنقض غرضنا، فلا نريد أن نستعدي مؤمن، بسبب عدائه الشديد لظاهرة مختلف في شرعيتها، حسب تقدير الفقهاء. فلهذا فمن الاشتباه إذًا

تصور بعضهم أنهم مقصودون، إلا أن عليهم التفكير في ما يرد في هذا الموضوع بعقل منفتح، بأن يدرسوا خارطة الواقع، وخارطة العداء، وخارطة الإمكانات، وتكوين تصورات مفيدة لمجتمعهم.

وهنا يجب أن نقول أن هذا الموضوع كشف أن بعض الأخوة يكرهون مجتمعهم ويعادونه أشد العداء، فهم لا يهمهم إطلاقًا حتى لو دُمر مجتمعهم نهائيًا، ما دام لا يستجيب لرأيهم، وهذا اشتباه منهم في طريقة التفكير وفي الإنتماء، فإنهم سوف لن يستغنوا عن مجتمعهم أبدًا، وإن نموهم هو من نمو مجتمعهم. ولهذا أدعوهم إلى إعادة التفكير في كوامنهم النفسية، وحقدهم على مجتمعهم، فإن عدم الرضا بممارسةٍ لا يعني أن أحقد على المجتمع، وأن أقول: لا يهمني المجتمع ولا يهمني القضاء عليه، ما دمت لا أؤمن بما يفعل، فهذا غاية الابتعاد عن الهوية، وهو مما لا نتماه لأبنائنا لأن فيه ذهاب ريحهم وخسارتهم في الدنيا والآخرة.

وأقول : إن بعض من يؤيد مظاهر العنف في القضية الحسينية، لا يعني أنه يستغني عن الجهاد العسكري والأمني، فهي ليست بديلاً عن الجهاد والمناصرة، وإنما هي بطولها لا بعرضها. فما يعتقده بعض الأخوة بأن المؤيدين بعيدون عن المجاهدة والنصرة للحق ودولته، فهو وهم، فلعلّ في المتحمسين للجهاد ظاهرًا، مَنْ هو معول لهدم الحق، بينما قسم من المؤيدين للعنف في المظاهر الحسينية هو أكثر الناس فداءً ومجاهدة للإسلام ودولته الحقة، وكذا فقد يوجد الهدامون في الطرفين، فلهذا فالتعميم والربط بين هذا وذاك خطأ منطقي وواقعي، وخسارة لعناصر جيدة باستعدائها بدون لازم. وكل هذا الكلام إنما هو خارج دولة إيران، لأن إيران يحكمها فقيه مبسوط اليد، وليس من حق المؤمنين الاعتراض على صحة قراراته، وكلامنا خارج هذه الحدود، حتى لا يتحول الحديث دائمًا عن الولاية، وما شابه ذلك، مما لا علاقة له بموضوعنا، وعلى الأخوة أن لا يعتقدوا بأن تأييد الممارسة

خارج إيران هو عداوة مع الولي، فهذا في غاية البعد، وعلى المؤيدين أن يحترموا إرادة الولي داخل ايران، فهو مبسوط الأمر وله التقدير في بلاده بلا أدنى شك.

والآن نأتي لجواب الأخوة حول كيفية الاستثمار؟

أولاً: من قال أن القضية غير مستثمرة فعلاً منذ أكثر من مائة عام؟

فإننا أوضحنا بأنها مستثمرة، وأن الصراع حولها مع الظالمين يدل على أنها إحدى الأدوات القوية في تحريك الساحة، وهي مستثمرة تمامًا من قبل الكثير من المراجع، وكان في العراق صراع كبير مع الحكومات الطائفية والعميلة ومع القوى المستعمرة، وهو ملف يدار بكفاءة ممتازة من دون أي احتكاك حقيقي بالممارسين، ولكن حين يتعرضون للخطر نرى المراجع يتدخلون لإدامة الحدث بشكل شديد، ولعل بعض الطلبة لا يعرفون بما يجري بالفعل، ففي زمن وزارة ياسين الهاشمي الثانية تصدى مراجع كبار لتأييد موكب التطبير، لأن الهاشمي الطائفي كان يقصد تدمير التشيع وهو أحد أعمام طارق الهاشمي الشركسي، وكان هناك تسفيرٌ للمراجع، وفي أزمان أخرى. وكانت أهم الأيام السوداء هي الفترة من 1975 إلى 1979 فقد كانت فترة حرجة خصوصًا سنة 1976 وما بعدها، وكان الموكب الوحيد الذي حرص عليه المراجع هو موكب التطبير، وكان التحرك في ذلك الوقت، بإرادة السيد الخوئي قدس الله نفسه، وكانت اجتماعاتنا في بيت أحد أولاد السيد الخوئي قدس سره، وكان معنا مندوبون من قبل السيد محمد باقر الصدر قدس الله نفسه الزكية وبتوجيهاته الشخصية*، ومعنا اثنان من حزب الدعوة أيضًا، رغم أننا نعلم أنهما كانا يريدان استغلال الظاهرة فقط، ولكن الجو العام للاجتماعات كانت تحت شعار أنّ "موكب التطبير سور متقدم للقضية الحسينية"، ونحن قد نشرنا بأن

* وقد أكّد ذلك السيد أمين شبر في لقاء معه في شبكة أنصار الحسين عليه السلام عام 2009

السيد الخوئي ضد التطبير لأسباب أمنية، وقد أُدير الملف بشكل متقن وحرفي تمامًا، ولعل سبب الثورة الايرانية كانت أحداث سنة 1976 لمن يعرف القصة الحقيقية، فقد كتب السيد الإمام الخميني قدس الله روحه الطاهرة رسالة شديدة اللهجة إلى الرئيس أحمد حسن البكر لأنه منع الشعائر الحسينية، فاشتكى البكر عند شاه إيران على السيد الخميني واتفقا على تصعيد الأمر ضد الإمام الخميني قدس سره، فكتب أحد الصحفيين مقالة صحفية في طهران تهين السيد الخميني قدس سره، لأنه رفض استلام الشعب الإيراني للأراضي الممنوحة من الشاه بشرط إسفار زوجات المستلمين للأراضي، فهاج الشعب الإيراني ضد الصحفي، وطالبوا بمحاكمته، فهنا قرروا قتل الإمام الخميني (رض) بطريقة هادئة، فحاولوا عدة محاولات فاشلة بالتعاون مع المخابرات العراقية، ثم أخيرًا بعث الشاه مع أحد أصدقاء السيد الخميني (رض) مداسًا مسمومًا ليهديه للسيد، لكن السيد رحمه الله كان زاهدًا فاهداه لولده السيد مصطفى قدس سره، فمات بعد ثمان ساعات (أو أكثر) من لبسه المداس، وعرف السبب، فهاجت الحوزة الدينية في النجف، وكان من أكبر الأحداث في النجف، وفاة العالم العامل العبقري السيد مصطفى الخميني رضوان الله عليه، وكانت خسارة أهل العلم والفضل عظيمة جدًا بفقدان هذا العبقري، وهنا تحولت كل شوارع ايران إلى مآتم، وأخذ السيد يدعو لإسقاط النظام بشكل متكرر بدءًا من أول يوم لمجلس العزاء، وتحركت قوافل أشرطة التسجيل من النجف إلى قلب إيران بطريقة لم يسيطر عليها لا البكر ولا شاه ايران، واشترك في ذلك عراقيون ولبنانيون وإيرانيون، فكان ما كان، والكل يعرف ما جرى.

فقد عاصرت بنفسي وشاركت بيوت المرجعية في تحضيرات كبيرة، وكان العمل بطريقة عفوية وسرية جدًا، ولكن كل المعلومات تصل إلينا، حتى التحضيرات الدقيقة كانت مدروسة، وما حدث في تلك المرحلة كان كفيلاً باسقاط حكومة البعث، وإحداث أول ثورة شعبية في العالم العربي لاسقاط

نظام عصري فاسد، ولكن الإنقلاب الأمريكي على البريطانيين في العراق بقيادة رامسفيلد بعد قيام الثورة في إيران، غيّر التكتيك العراقي والأمريكي، ولم تفقد القضية حرارتها منذ ذلك الحين، واستمرت جذوة المعركة منذ تلك الساعات حتى سقوط صدام بطريقة فنية.

وبالمناسبة فإن كل الذين شاركوا في التخطيط والفعل في السبعينات كانوا لا يمارسون التطبير، وبعضهم ضد التطبير أصلاً، وكانوا يصرحون في الاجتماعات ولكن كانوا أذكياء يعرفون العمق الاجتماعي للحدث.

فمن يدعي بأن هذه الممارسة غير مستثمرة، فهو لا يدري شيئًا إطلاقًا، ولعل بُعده عن الحدث وأسراره، خلقت له هذه التصورات، فإن المعارك السياسية باستغلال هذا الحدث كان على قدر كبير من الأهمية، ولم أكشف أسرارًا كثيرة في الموضوع، ولم أروي ما حدث في فترات الإحتلال، وفي فترات الحكومات الطائفية العملية، وما حدثني به بعض المشاركين القدماء من الأعلام الكبار، ومن الصدف أن بعض أبنائهم كانوا معنا في السبعينات.

وأما في غير الاستغلال الفعلي لتحريك المجتمع بعنف ليقف بوجه الطغاة، فقد كان هناك محاولات فردية كثيرة، للنشر الإعلامي والتثقيفي ولإرسال رسائل معينة في مجالات مختلفة، وقد عرضت بعضها في هذا الموضوع على شكل احتمالات، ومن يقرأ الموضوع جيدًا سيعثر على ذلك بكل تأكيد، وأهمها على الإطلاق رسالة الممانعة والاعتزاز بالمذهب التي يفهمها أهل القرار، ولا يهم أن لا يفهمها غيرهم، فهم ليسوا في صميم الرسالة لأن القضية قضية إرادات ودفاع عن الوجود، ومن لا يعرف فهو خارج تخصصًا.

وهنا نريد من المثقفين أن يشاركوا في نصرة مذهبهم، وقد وضعت الكثير من الأفكار لمن يريد أن يتحرك ويفهم، فإنه ليس المقصود أن ندعو إلى التطبير كما يصرح بعض المشاركين وغيرهم.

ولكن في مجال استغلال التطبير سلبيًا، فأقول بكل صراحة فإن بعض الشخصيات كانت تبني مجدها بإيجاد مجموعة متعصبة للممارسة من أجل اظهار أنهم رعاة الولاء للأئمة الأطهار عليهم السلام، كما يظهر من التصرفات واضافة أمور غير علمية للاستدلال في الوقت الذي لا يحتاج العالِم لذلك، فكان هذا كاشفًا عن نيتهم للاستغلال الشخصي بكل أسف، ولكن لم تُعارَض هذه النزعة من قبل الكثير من المراجع، لأسباب تتعلق بفكرة أنها هدية مجانًا ممن يريد أن يبني مجدًا عليها، وهذا يخدم القضية بشكل أو آخر من دون أي عمل فعلي.

وعلى كل حال فالمعركة مستمرة والظاهرة لا يمكن إيقافها، بل هناك إصرار عجيب عليها من قبل المجتمع، وهي ظاهرة استطاعت المرجعية إدارة ملفها بشكل جيد، ولم تستطع أي قوة من استغلالها عكسيًا ضد المذهب، فلم ينقص عدد الشيعة ولم يتوقف التمدد الشيعي ولم يتوهن المذهب الشيعي ولم يحدث أي شيء حاولوا تحقيقة منذ أكثر من قرن من المحاولات. ولعل من حرّم هذه الظاهرة زاد منها، من حيث لا يريد، بسبب إرادة المعاكسة أو إرادة الممانعة كل حسب نيته، وقد حدثني استاذ تربوي محترم ورقيق جدًا بأن أحدهم ناقشه في حرمة التطبير واحتدم بينهم النقاش فقرر أمامه أنه سيتطبر، وتطبر فعلاً العام الماضي، وهذا يدل على أن ترك هذه الظاهرة من قبل الممانعين أفضل لأهدافهم فهي ستكون لا حاجة لها في زمن عدم الشعور بالتهديد، ولعل بعضهم تختلط عليه الاوراق فيظن أن الممانعة مصدرها واحد، وهذا يشكل خطرًا على سلامة ووحدة مجتمعنا، نسأل الله حمايته من شر الأشرار، ونسأله تأييد المؤمنين بكل صنوفهم.

يبقى دور المثقف الشيعي في تفهم هذه الأمور، وإن أكبر دور له: هو أنه إذا لم يتمكن من استغلال الظاهرة لصالح مذهبه، فعلى الأقل لا يظهر الحرب حتى لا يضعف من يمتلك استغلال الظاهرة، وحتى لا يزيد من عدد المتعصبين، لأجل التعصب لهذه الظاهرة، وحتى لا يُتهم في ولائه لأهل البيت عليهم السلام من قبل المتعصبين لهذه الظاهرة (وهذا أمر حاصل شاء الممانع أم أبى، فإنه متهم بمحاباة الأعداء وبالمشاركة في العداء لمذهب أهل البيت عليهم السلام وإن دعواه التمذهب كاذبة عند هؤلاء) فدفع الغيبة عن النفس وتقليل الضرر والممارسة وافساح المجال لمن يجيد فن الاستخدام للحدث، أسباب وجيهة في عدم اظهار الممانعة على أقل تقدير.

وهنا لنقول بصراحة إن بعض الأحزاب الشيعية تكذب حينما تدعي أنها تحارب التطبير لأنه مضر بالمظهر الشيعي، لأنهم يحاربون جميع الشعائر، فالتمثيل عندهم مستقبح وسخيف، والبكاء على الحسين دمعة غبية، وتدل على قلوب مهزومة، وطبول الحرب في المواكب تشبيه بأهل الموسيقى بشكل مقزز، والمشاعل والهوسات مستمدة من الهندوس والوثنيين الأفارقة، والخطابة حركة بالية فيها سخف وكلام غير منطقي، وهي لا توازي المحاضرات الإسلامية القيمة، ومآدب العزاء تبذير، وإن الدعوة إلى الصلاة والصيام خير من الإنشغال في الشعائر الحسينية فالمستحب لا يقدم على الواجب (وكأن الشيعة يدعون لترك الصلاة والعياذ بالله من سوء العاقبة)، والمشي إلى الحسين هدر للإقتصاد، واضاعة لساعات العمل المقدس إلى ما هنالك من أقوال تصدر من مصدر واحد، فأين الحرص على المذهب كما يدعون؟ ويقولون أنهم إنما يحاربون التطبير حرصًا على سمعة المذهب، بل هم بأقوالهم الصريحة يريدون تحطيم المذهب، بعمل أنثروبولوجي بتفكيك اللحمة بين عاطفة الشعوب وبين الولاء للأئمة الطاهرين عليهم السلام حتى يتمكن العدو من إنزال الضربة القاضية في الإسلام الحقيقي. فهؤلاء

الكاذبون الذين يدعون بأنهم موالين، لا يمكن أن نستمع لدعاياتهم، ونحن نعرف ماذا يريدون؟ ومن يقصدون؟ ويعتقدون بأن الشيعة أغبياء لا يفهمون حركاتهم الغبية.

وقد اتصل بي أحد المثقفن الشيعة الكبار من لندن، وهو صديق مهم لبعض الأحزاب الدينية المنحدرة من أصل سني في المجتمع الشيعي، فقال لي : أنا عاتب على المراجع، فقلت خيرًا ان شاء الله، فقال : هل من السليم أن لا ننتبه لعملية التنمية والإزدهار الاقتصادي، فنبالغ في الشعائر الحسينية ونحدث عُطلاً شعبية كثيرة مضرة في الاقتصاد العراقي، فقلت له: نشرت الصحيفة الفلانية أن زيارة الأربعين أصبحت مشكلة اقتصادية ضاغطة على الخزينة. وعرض التلفزيون الفلاني ندوة تقول بأن هذه الزيارة فاقدة للروحانية وهي مضرة بالإقتصاد الوطني، وهذا قول الجهة الفلانية، فقال: بصراحة سمعتها منهم، وأنا اقتنعت بها واتكلم عن قناعتي، فقلت له : طيب أنت اقتصادي أخبرني، ما هو عماد الاقتصاد العراقي كليًا؟ فقال : النفط. فقلت له: ألا يوجد غير النفط؟ فقال: لا، فقلت : إذن لا قيمة للعمل وللعمال لأن الأمر بيد محبس يضخ السائل إلى السفن، ثم قلت له : وأزيدك علمًا أن نفس من ينشر هذا القول يصر على عدم السماح للإقتصاد الحر بالإنتشار في العراق، وهو من يجعل كل الشعب العراقي موظفين في الدولة، فقال: هذا الكلام صحيح. فقلت له: يا استاذ إذا كان الإقتصاد العراقي من النفط فسواء عمل العراقي أو جلس في بيته فما قيمة ذلك بالنسبة للاقتصاد؟

فضحك ضحكة عالية: وقال: غلبتني، فإنه لا قيمة لكل عمل الشعب العراقي في النظام الحالي، لأنه نظام يحارب العمل، وهذا صحيح لم ألتفت إليه، فقلت له: مع ذلك أقول لك أمرًا فاتك، وأنت في لندن، فإن أيام العمل في العالم المتحضر لا تزيد عن 225 يومًا، بواقع ست ساعات يوميًا أو أقل، ونحن نعمل 275 يومًا بواقع 7-8 ساعات يوميًا مع كل هذه العطل المشينة عندهم، فكيف تراها هدرًا في الاقتصاد، وهنا ضحك ضحكة عالية أخرى، وقال: يعني نحن نطلب الحكومة ساعات

عمل كثيرة، قلت: نعم، ولكن بفضل هذه الحكومات الملتهية بالسرقات فإن عشرة موظفين عندنا لا يعدلون موظفًا واحدًا في الدول المتقدمة. فلو كانوا حريصين على الاقتصاد فعليهم أن يحسّنوا ظروف العمل، وأن يحولوا الاقتصاد إلى اقتصاد السوق لا التأميم السخيف، وأن يمنعوا سرقات الأموال العراقية، فإن سرقة وزير واحد تعادل عشرة أضعاف ما يهدر في مسيرة الأربعين كلها.

ولو لم يكن من استغلال التطبير إلا كشف هؤلاء لكان كافيًا، فإننا كلما حاصرناهم بعظمة شعائر الحسين عليه السلام، إلا وانتقلوا إلى قباحة التطبير وجروا الأمر إلى موضوع شائك من أجل تضييع الوقت، فكان هذا الحال كاشفًا فعليًا عن نيتهم واستغلال معارضتهم للتغطية على عدم إيمانهم بالمذهب، وهم يريدون قيادة المذهب برجالات أثبت التاريخ أنهم أشد الرجال طمعًا وصغارًا أمام السلطة والمال وأكثر الرجال حقدًا وحسدًا للمرجعية الشيعية.

وعلى من يريد أن يفهم كيفية الاستغلال فليقرأ بين السطور فسيجد بأنني وبعض المشاركين، وضعنا الكثير من الأفكار للاستغلال الايجابي، ومن لا يجيد القراءة فهو غير مقصود بالطلب أصلاً.

المشكلة أن العلم له زوايا ينظر منها العالم كالمجسم الخارجي له زوايا ينظر لها الرسام تختلف فيما بينها، وقد يعيب بعض أهل العلم أقرانهم من جهة الزاوية التي يرى منها، ولهذا فإنني اعتبر الخلاف –ف ي موضوع حساس له عدة زوايا – أمرًا اعتياديًا، وأما الحدة في الطرح فهي في بعض الأحيان تابعة لتقدير الموقف، فلهذا نصر على أن البحث ليس فقهيًا، وإنما هو يحاكي عقلية من يقوم بالهجوم على التشيع لعثوره على صيد ثمين يصفه بالسلبية ويعتبرها الثغرة التي يدخل منها للتأثير على الأفكار .

فهو بحث اجتماعي سياسي نفسي، للدفاع عن الوجود وليس عن الشكل.

إن هؤلاء المحركين لماكنة الإعلام يتعمدون اصطياد الثغرات في زوايا ميتة فكيف بظاهرة ينقسم عليها المجتمع الشيعي بين مؤيد بشدة وبين رافض بشدة، فهي ظاهرة موجودة فعلاً، وهم يناقشون الموجود حتى لو كان مخالفًا للدين، فينسبونه للدين كسلبية يحاولون منها إسقاط الدين، وخير مثال هو وجود ظلم لمكانة المرأة في بعض المجتمعات الريفية البعيدة عن الجو الإسلامي وبصور محرمة اجماعًا، ولن يقبلها الدين اطلاقًا، ولكنك ترى علماء الانثروبولوجي يقدمونها كصيغة لفشل الاسلام ويتكلم بها رعاة الحوار الديني والمحاربين للإسلام وكأنها هي الاسلام وهي مصدر النقد للاسلام، مع أنها لا ترتبط بالإسلام شكلاً ولا مضمونًا.

فهنا يأتي تكليف المثقف، سواءً على صعيد الضمير أو على صعيد الديانة في مجابهة مثل هذه الهجمة، ولا بد عند ذلك من سلوك مسارين: داخلي للتحصين، وخارجي للرد وإبطال الهجمة .

وهذا من البديهيات.

ويجب الإلتفات إلى أن علم الأنثروبولوجي الديني علم خطير جدًا، يشكل أساس الدراسات الخطيرة لتدمير مجتمعنا حتى يتدمر ديننا، وأن أساس هذه العلوم يقول ما يلي كما كررت ذلك كثيرًا:

(إن الفكرة محلها هو الإنسان فإذا دمرنا الإنسان في بنيته الإنسانية التي ينتمي إليها أو قتلناه انتفت الفكرة من الوجود)

وهذا هو سعيهم، وعلينا أن نعي كيف نواجههم بذلك، وكيف نحافظ على إنساننا ومجتمعنا، لنشتت جهودهم وأهدافهم الشيطانية، فإن المعركة صارت ذات حدين، الأول المحافظة على ثوابتنا وعلومنا الدينية من الإنحراف، ونحصنها من نظريات المعرفة النسبية التي تدمر الدين من الداخل، والثاني أن نحافظ على بنية مجتمعنا من الضياع والإنجرار إلى ما يريدون.

وإنني في بعض الأحيان أرى الكثير من أبنائنا في المجالس وفي النت ينفذون مقررات هذا العلم الذي بني أساسًا لتدمير الإسلام والتشيع وهم لا يعلمون إطلاقًا بجريمتهم تجاه مذهبهم.

والحمد لله ربّ العالمين

وصلى الله على النبي الأكرم

وآله الميامين الطيبين الطاهرين

شبكة الفكر للكتب

www.alfeker.net

